المملكة العربية السعودية
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

مجلة

مجلة علمية دورية محكمة تشرف على إصدارها الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

البحوث الإسلامية

العدد (١١٩)
رمضان، شوال، ذو القعدة
ذو الحجة ١٤٤٠هـ

١١ حسن الظن بالله تعالى
كلمة سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية

٢١ خطبة يوم عرفة لعام ١٤٤٠هـ.
معالي الشيخ : محمد بن حسن آل الشيخ

٣٧ معايير المفاضلة بين النسخ الخطية
كلمة رئيس التحرير

٤٥ مسائل الإمام أحمد الفقهية برواية الحسن بن ثواب في كتابي الطهارة والصلاة "جمعا ودراسة ومقارنة بالمذهب".
إعداد: د. ماهر بن حمد المعيقلي

١٢١ (كلما) في القرآن دراسة تحليلية استقرائية.
إعداد: د. عاصم بن عبد الله بن محمد آل حمد

١٦١ المنهج العلمي لدراسة مناهج شرّاح الحديث النبوي دراسة تأصيلية تطبيقية .
إعداد: د. طارق بن عودة بن عبدالله العودة.

٢٢٩ الأوقاف الإلكترونية.
إعداد: د. عبد العزيز بن إبراهيم الشبل

٢٩٧ نوازل الاقتداء بالإمام في المسجد الحرام
إعداد: أ. أسماء بنت صالح عبد العزيز العامر

(كلما) في القرآن

دراسة تحليلية استقرائية

إعداد الدكتور

عاصم بن عبد الله بن محمد آل حمد

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث

تتكون (**كلما**) من حرفين: (**كل**) و (**ما**)، أما (**كل**) فهي مصدرية، منصوبة على الظرفية، و(**ما**) مصدرية ظرفية أيضًا، وهي المسببة لظرفية (**كل**).

ولا تدخل (**كلما**) إلا على الجمل الفعلية، وأكثر ما يكون على الفعل الماضي.

وناصب (**كلما**) الفعل الذي هو جوابها في المعنى .

ووردت (**كلما**) في القرآن سبع عشرة مرة.

في كل المواضع السبعة عشر كتبت (**كلما**) موصولة في مصحف المدينة النبوية، إلا في موضعين: من سورة النساء: (آية:٩١). وسورة المؤمنون (آية:٤٤)، وقد ذكر الخلاف في موضعين آخرين.

وإيجاد قاعدة لضبط سبب القطع من الوصل قد يكون من الصعب الجزم به، لوجود الخلاف في كتابة (كلما) في بعض مصاحف الأمصار، وأحيانًا يتعذر انضباط ما ذُكر من العلة.

وأقرب ما يكون من التعليل في سبب اختلاف الكتابة أن يقال-والعلم عند الله: إنها كتبت على سبيل التنوع، أو إن عادة الكتاب في الوقت الذي كتب فيه خط المصحف تُجوّز كتابتها على الوجهين .

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد:

فقد أولى علماء التفسير واللغة الاهتمام الكبير بمعرفة معاني الحروف، لما لها من الأثر البالغ في معرفة المعنى، والخطأ في معرفة المعنى لغير الواعي بدقائق اللغة جناية على التفسير، ومعرفة معاني الحروف من أصعب أبواب اللغة؛ لكثرتها ولتداخل معانيها، فشواهد القرآن ومواضعه من معاني الحروف قَلَّ أن تخلو منه آية من آي الذكر الحكيم.

ودراسة معاني الحروف كما هي في سياقها تُبصّر المطلع على الأقوال المتفاوتة أيّها أقرب للصواب، وتنزع عن قلبه البعيدَ من الأقوال، ويستقر على الحق، وتعزز الملكة الترجيحية في النظر والاستبصار.

والعجيب أن الخطأ في فهم معاني الحروف كان قديمًا، وبسببه وقع الكبار من العلماء في البعد عن الصواب، فعن أبي العالية أنه سُئل عن معنى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ (سورة الماعون-الآية:٥) فقال: «**هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدري عن شفع أو وتر**»، فقال الحسن: «**مه يا أبا العالية. هو الَّذي يسهو عن ميقاتها حتى تفوت ألا ترى قوله:** ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ﴾»[1].

وكل ذلك لأجل ما فات أبا العالية-رحمه الله- من الوقوف على حرف (عن)، بينما وقف عندها الحسن، وأبان عن المعنى المراد، فدلالة

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره، عند سورة الماعون، برقم (٣٧١٣)، وعزاه السيوطي في تفسيره الدر المنثور إلى ابن المنذر (٦٤٣/٨).

الحرف (عن) تدل على التأخر عن إقامته لوقتها، أو تفويت أركانها؛ لعدم الاهتمام بأمر الله بها.

أما ما فهمه أبو العالية من كون (عن) بمعنى (في) فهذا لا تحتمله الآية، ولا الوعيد، فالسهو في الصلاة لا يحتمله كل هذا اللوم، بخلاف السهو عنها، ولأن السهو في الصلاة يقع من كل أحد، حتى من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومما يدل على أهمية هذا الموضوع اختلاف الفقهاء في بعض المسائل الفقهية، وأن منشأه الاختلاف في تحديد المعنى الدلالي لحروف المعاني، «فإنه لما كانت مقاصد كلام العرب، على اختلاف صنوفه، مبنيًا أكثرها على معاني حروفه، صُرفت الهمم إلى تحصيلها، ومعرفة جملتها وتفصيلها، وهي مع قلتها، وتيسر الوقوف على جملتها، قد كثر دورها، وبعد غورها، فعزت على الأذهان معانيها، وأبت الإذعان إلا لمن يعانيها»[1].

ومن الحروف التي جاءت في القرآن، وقلّ الكلام عنها عند المتقدمين، حرف (كلما)، فجاء البحث ليقف على معناها، ويستقرئ مواضعها في القرآن، مع بيان اختلاف الرسم في كتابتها، ومحاولة تلمس سر ذلك، فاستخرت الله - جل جلاله - واخترت أن يكون بعنوان: كلما في القرآن دراسَة تحليلية استقرائية

(١) الجنى الداني في حروف المعاني، لأبي محمد بدر الدين حسن المرادي (ص:١).

أهداف البحث

١- الوقوف على أهمية موضوع معاني الحروف، وأثرها في اختلاف المعاني.

٢- الوقوف على معنى (كلما) في القرآن، مع استقراء مواضعها، ومعرفة اختلاف رسمها.

الدراسات السابقة

لا توجد دراسة متخصصة في معنى (كلما) فيما اطلعت عليه، إنّما كلام يسير يُعدّ ويستقصى، كما فعل أبو حيان والسيوطي في الحديث عن معناها فقط، وزاد أبو حيان -كما هو صنيع أهل اللغة- الكلام عن إعرابها، وكما فعل من كتب في القراءات وتوجيهها من بيان الموصول والمقطوع منها، وتبقى (كلما) من الأحرف التي شحت بدراستها كتب المتقدمين، بل وكان المالقي في مصنفه: رصف المباني في شرح حروف المعاني، ممن امتاز بالشمول والتوسع في دراسة حروف المعاني، إلا أنه غيب ذكرها.

فالحديث عن (كلما) كلام منثور، وبعضه يحتاج إلى تحقيق وتمحيص، والدراسة التي بين يدي البحث فيها الاستقراء لجميع المواضع، مع بيان المعاني، وتحقيق ما قيل عنه السر في كتابتها موصولة أو مقطوعة.

وما ذكره الأستاذ الكبير عبدالخالق عضيمة أستاذ حروف المعاني في هذا العصر أضاف إليه البحث أشياء عدة، ومباحث لا غنى عنها في

إكمال الموضوع، ومن ذلك:

١- وقف البحث على جميع مواضع (كلما) في القرآن مبينًا: معناها، وجوابها، والنكات البلاغية التي اقترنت في سياقها، مع دراسة الآية دراسة تحليلية.

٢- تكلم البحث عن قطع (كلما) ووصلها في مرسوم المصحف، ونزاع من تكلم في ذلك من المتقدمين ممن يرى البحث أنه نحى منحى المبالغة.

٣-استشهد البحث على إتيان (كلما) بمعنى (حين) بعدة آيات قرآنية.

٤-استشهد البحث على إتيان جواب (كلما) فعلاً ماضيًا بعدة آيات قرآنية.

٥-الوقوف على النكات البلاغية في إتيان جواب(كلما) فعلاً مضارعًا مخالفًا للأغلب من إتيان الجواب فعلاً ماضيًا.

٦-نقل البحث الإجماع على عدم جزم (كلما)

٧- نقل البحث بالنص بعضًا من النصوص عن أئمة النحو في حديثهم عن معنى كلما وما يتعلق بها، وفي ذلك تيسير على القارئ والمطلع.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

١- تبرز أهمية الموضوع من أصله، ومنبعه الذي ينطلق منه، وهو موضوع حروف المعاني، ولما لهذا الموضوع من أثر بالغ في فهم النصوص، والوقوف على المراد من المعاني.

٢- عدم وجود طارق لمعنى (كلما) بالتفصيل من العلماء المتقدمين، وتتبع مواضعها.

خطة البحث

وتتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة مطالب

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

تمهيد: معنى حروف المعاني وأهميتها.

المطلب الأول: معنى (كلما) في أصل اللغة وإعرابها.

المطلب الثاني: دراسة تحليلية استقرائية لورود (كلما) في القرآن.

المطلب الثالث: أنواع الرسم القرآني لـ(كلما) في القرآن ودلالاته.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث

سلكت في البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، فاستقرأت المواضع التي وردت فيها كلمة (كلما) في القرآن وتتبعت ما قاله أهل التفسير فيها للوصول إلى معناها، والتزمت بالمنهج العلمي في كتابة البحوث وفق ما يلي:

١- ضبط الكلمات بالشكل عند الحاجة إلى ذلك.

٢- شرح الكلمات الغريبة عند الحاجة إلى ذلك.

٣- التعريف بالأماكن عند الحاجة إلى ذلك.

٤- التعريف بالأعلام الذين يتطلب البحث التعريف بهم، تعريفًا موجزًا.

٥- استخدام علامات الترقيم حسب الوسع والطاقة.

٦- توثيق النقل في الهامش مع الالتزام بالترتيب الزمني التاريخي لوفيات المؤلفين.

٧- تخريج الأحاديث و الآثار الواردة في البحث من مصادرها الأصلية.

٨- أكتفي بتخريج الحديث من الصحيحين أو أحدهما إذا وجد، وإذا لم يكن في أحد منهما فأخرجه من أمهات الكتب الستة، مع ذكر ما قاله أئمة الحديث والجرح والتعديل فيه من القبول والرد.

٩- توثيق الأبيات الشعرية وعزوها إلى قائليها من دواوينهم أو كتب اللغة والأدب.

١٠- عند النقل باختصار وتصرف، أو عند الرجوع إلى أكثر من مصدر، يحال إليه بقول: انظر.

١١- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني على رواية حفص عن عاصم

مع ترقيم الآيات وعزوها.

١٢- وضع خاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

١٣- وضع قائمة بأهم المصادر والمراجع.

تمهيد: معنى حروف المعاني وأهميتها

معنى الحرف في اللغة: الحاء، والراء، والفاء، ثلاثة أصول: حد الشيء، والعدول، وتقدير الشيء. ويقال: (حَرِّف كذا) ويقصدون الحرف من حروف الهجاء.

وكل كلمة بُنيت أداةً عاريةً في الكلام لتفرقة المعاني فاسمها حرف، وإن كان بناؤها بحرفين أو فوق ذلك، مثل: هل، وبل، وحتى، ولعل [1].

أما عن معنى الحرف في الاصطلاح: فالحروف على نوعين:

حروف مباني: وهي التي تبنى منها الكلمات، كحرف الزاي في زيد، فهي الحروف الهجائية تبنى منها الكلمة، وليس للحرف منها معنى مستقل.

وحروف معاني: وهي الحروف التي تربط الأسماء بالأفعال والأسماء بالأسماء، وتدل على معان في غيرها وتربط بين أجزاء الكلام، وقد تكون متركبة من حرف أو أكثر من حروف المباني[2].

فيقال بعد ذلك: إن هناك فروقًا بين حروف المباني وحروف المعاني، من أهم ما يقال ويورد في ذلك:

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (٤٢/٢)، وتهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الأزهري (١٠/٥).

(٢) انظر: المخصص، لأبي الحسن علي بن سيده (٢٢٥/٤)، والجنى الداني في حروف المعاني، لأبي محمد بدر الدين حسن المرادي (ص:٢١)، والكليات، لأيوب بن موسى الكفوي (ص:٣٩٥)، والداني في حروف المعاني، لأبي محمد بدر الدين حسن المرادي (ص:٢١).والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٧٢/١- ١٦٧).

١- أن حروف المباني هي الحروف الهجائية، وعليها تبنى الكلمات، أما حروف المعاني فهي من أنواع الكلِم.

٢- أن حروف المباني لا تزيد على حرف واحد، بينما حروف المعاني منها ما هو على حرف واحد كهمزة الاستفهام، ومنه ما هو على حرفين كـ(هل) الاستفهامية، ومنها ما هو على ثلاثة أحرف: كحرف الترجي (لعل).

٣- أن عدد حروف المباني ثمانية وعشرون حرفًا، أما حروف المعاني فأكثر من ذلك.

وكانت حروف المعاني ضمن اهتمامات البحث اللغوي عند المتقدمين، فقد أحاطوا بكثير منها درسًا وتشقيقًا، واختيارًا وترجيحًا، ودارت نقاشات أكثر ما تكون بين النحويين واللغويين، «فإنه لما كانت مقاصد كلام العرب، على اختلاف صنوفه، مبنيًا أكثرها على معاني حروفه، صُرفت الهمم إلى تحصيلها، ومعرفة جملتها وتفصيلها، وهي مع قلتها، وتيسر الوقوف على جملتها، قد كثر دورها، وبعد غورها، فعزت على الأذهان معانيها، وأبت الإذعان إلا لمن يعانيها»[(١)].

ولا أدل على أهمية معاني الحروف من كون كثير من العلماء تناولها بطُرُقٍ مختلفة، كل منهم ضارب بسهم، وفي هذا يقول المالقي واصفًا ما عليه العلماء في تناول الحديث عن حروف المعاني: «فوجدت منهم من أغفل بعضها وأهمل، ومن تسامح في الشرح وتسهل، ومن اختصر منها وأسهب، ومن ركب البسيط وبسط المركب، ومن شتت ألفاظها وعدد،

(١) الجنى الداني في حروف المعاني، لأبي محمد بدر الدين حسن المرادي (ص:١).

وأطال الكلام لغير فائدة وردد»[1].

فللعرب تراثٌ لا يستهان به في هذا الباب، فقد اهتم جملة من العلماء بجمع قواعد كل أداة في باب خاص، وما تقع عليه في كلام العرب، وما تردد حولها من مناقشات وآراء، وكان المالقي في مصنفه: رصف المباني في شرح حروف المعاني، من جملة أولئك، ولربما كان أشملهم، وأوعاهم.

وليُضْرَب لذلك مثلاً يُبيّن أهمية دراسة هذه الحروف والتحقيق في المراد من سياقها، ففي قوله تعالى:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة آل عمران-آية: ١٠٤)، ففي قوله:﴿ مِّنكُمْ ﴾ فرق شاسع في الدلالة بين جعلك (من) بيانية، أو جعلها (تبعيضية)، وفي هذا يقول الزمخشري:" (مِن) للتبعيض؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، ولأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر، وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته وكيف يباشر، فإن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر، وقد يغلظ في موضع اللين، ويلين في موضع الغلظة، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تماديًا، أو على مَن الإنكار عليه عبث..." [2]، فكل هذه الأحكام والمتعلقات فيما إذا كان المراد من معنى (مِن) إرادة التبعيض.

(١) رصف المباني في شرح حروف المعاني، لأحمد بن عبدالنور المالقي (ص:٢).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود الزمخشري (٣٩٦/١)

ثم قال: "وقيل (مِنْ) للتبيين، بمعنى: وكونوا أمّة تأمرون..."[1]، ولا شك أن المعنى ينتقل من كونه من فروض الكفايات إلى فروض الأعيان إن قيل بهذا المعنى.

ومر أول البحث ما دار من حوار بين أبي العالية والحسن -رحمهم الله جميعًا- من كون أبي العالية سئل عن معنى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ (سورة الماعون-الآية:٥) فقال: **"هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدري عن شفع أو وتر»**.

فقال الحسن: «**مه يا أبا العالية. هو الَّذي يسهو عن ميقاتها حتى تفوت ألا ترى قوله:** ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ﴾»[2].

وكل ذلك لأجل ما فات أبا العالية-رحمه الله- من الوقوف على حرف (عن)، بينما وقف عندها الحسن، وأبان عن المعنى المراد، فدلالة الحرف (عن) تدل على التأخر عن إقامته لوقتها، أو مفوتون لأركانها؛ لعدم اهتمامهم بأمر الله بها.

أما ما فهمه أبو العالية من كون (عن) بمعنى (في) فهذا لا تحتمله الآية، ولا الوعيد، فالسهو في الصلاة لا يحتمله كل هذا اللوم، بخلاف السهو عنها، ولأن السهو في الصلاة يقع من كل أحد، حتى من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود الزمخشري (٣٩٧/١).

(٢) مضى تخريجه في المقدمة.

ولـذا فإن بعض أقوال التفسـير أوقعت هـذا الوعيد الذي فهمه أبو العاليـة على المنافقين، بدليل أنه قال بعدها﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴾ (سـورة الماعـون، آيـة:٦)، ومنهم من قال إنها في الكفار، بدليل أن السـورة مكية في جميع آياتها -وهو الأقرب للصواب والعلم عند الله- وبدلالة السياق الذي جاء متناسـقا من أول السـورة في الذي يكذب بالدين، وعلى كلا القولين فـلا يدخل هذا الوعيد في هذه الآية لمن سـهى من المؤمنين في صلاتهم، وقـد قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ولو قال في صلاتهم لكانت في المؤمنين"، وقال عطاء: "الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم"[٣].

إلـى غير هذه الأمثلة التي تميـز وتبرز أهمية فهم معاني الحروف، بل والتحقيق فيها ومعرفة الأرشق والأليق بسياقها، لما يترتب على الفهم من المعاني والأحكام، فلا غرو أن تجد كثرة المصنفات في هذا الباب كما سيتطرق له البحث في المطلب الثالث.

(٣) انظـر: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري (٦٣٢/٢٤)، والمحيط في التفسـير، لأبـي حيان محمد بن يوسـف بن حيـان (٥٥٣/١٠)، والتحرير والتنوير، للطاهر بن عاشـور (٥٦٨/٣٠).

المطلب الأول: معنى (كلما) في أصل اللغة وإعرابها.

-تتكون (**كلما**) من حرفين: (**كل**) و (**ما**).

أما (**كل**): فهي مصدرية، منصوبة على الظرفية.

و(**ما**): مصدرية ظرفية أيضًا، وهي المسببة لظرفية (**كل**) [١].

قال أبوحيان: «وسَرَت إليه(أي: لكلما) الظرفية من إضافته لما المصدرية الظرفية؛ لأنك إذا قلت: ما صحبتني أكرمتك، فالمعنى مدة صحبتك لي أكرمك»[٢].

- و(**ما**) في اتصالها بـ (**كل**): اسم بمعنى : حين.

ففي قول الله-تبارك وتعالى-: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ (سورة البقرة-آية:٢٠)، وكقوله -تعالى-: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ (سورة النساء-آية: ٥٦) وكقوله -تبارك وتعالى-: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ (سورة الإسراء-آية: ٩٧)، يكون المعنى: في كل حين أضاء لهم، وفي كلّ حين نضجت جلودهم، وفى كل حين خبت[٣].

- و(**ما**) المصدرية التوقيتية شرط من حيث المعنى فمن هنا احتيج إلى جملتين إحداهما مرتبة على الأخرى، وبناء عليه فقد شابهت (**كلما**) أدوات الشرط لما فيها من العموم والاستغراق، «والتكرار الذي يذكره أهل أصول الفقه والفقهاء في كلما، إنما ذلك فيها من العموم، لا إن لفظ كلما

(١) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام (ص:٢٦٦).

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (١٤٧/١).

(٣) انظر: أمالي ابن الشجري، لأبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة (٦٤/١).

وضع للتكرار» [1].

-وقد «أجمعت العرب على أنه لا يجزم ب(كلما)» [2].

-وإطلاق اسم الشرط على(كلما) تساهل[3].

ومن هنا يرى أهل اللغة أن (كلما) لا تشابه الشرط من كل وجه، فيجوز «تقديم منصوب الفعل العامل في (كلما) عليه، فتقول في كلما جئتني أخاك أكرمت»[4]، وترتيبه: كلما جئتني أكرمت أخاك وهو ليس كالشرط في ذلك.

-و(**كلما**) لا تدخل إلا على الجمل الفعلية، وأكثر ما يكون على الفعل الماضي،كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ (سورة البقرة-آية:٢٥)، وكقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾(سورة آل عمران-آية:٣٧)، وكقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾(سورة المائدة-آية:٦٤).

وقد يعطف على الفعل بفعل مضارع لنكتة، كقوله تعالى:﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمُ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (سورة المائدة-آية:٧٠)، وهذه النكتة هي: «على حكاية الحال الماضية استفظاعًا للقتل،

(١) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام (ص:٢٦٧)، والبحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (١٤٧/١).

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (٣٢٦/٤).

(٣) انظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة (٢٧٧/٢).

(٤) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (٣٢٦/٤).

واستحضارًا لتلك الحال الشنيعة للتعجب منها»[١].

يضاف إلى ذلك الإشارة إلى أن حالة قتلهم الأنبياء لا تزال حاضرة الذهن حتى في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنبيهاً إلى مكرهم، وقد ساق التاريخ محاولاتهم لقتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما هو شائع معروف.

ولم يمثل سيبويه إلا على المضارع[٢]، قال أبو حيان: «وغالب ما توصل به ما هذه بالفعل الماضي»[٣].

كما يجوز أن يكون الماضي بعد (كلما) بمعنى المستقبل، ومثاله قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾(النساء: ٥٦)[٤]، فالتبديل كائن بعد أن يدخل أهل النار.

-وناصب (**كلما**) الفعل الذي هو جوابها في المعنى[٥].

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود الزمخشري (٦٦٣/١).

(٢) انظر: الكتاب، لسيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر (١٠٢/٣).

(٣) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (١٤٧/١).

(٤) انظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي (٤٤/١).

(٥) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام (ص:٢٦٦).

المطلب الثاني

دراسة تحليلية استقرائية لورود (كلما) في القرآن.

وردت (**كلما**) في القرآن سبع عشرة مرة:

١-**قال تعالى:** ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ (سورة البقرة-آية:٢٠).

هذه الآية في سياق التنوع المطنب في بيان حال المنافقين، وهو تمثيل بعد تمثيل لتتوالى عليهم فضائح حالهم، وهكذا شأن البلغاء عندما يطنبون في حال الإطناب، كما يوجزون في حال الإيجاز.

والعامل لـ (**كلما**) ﴿مَّشَوْاْ فِيهِ﴾، وهو جوابه، والمفعول محذوف، وتقديره: كلما أضاء لهم البرق الطريق[١].

فقد شبه المنافق في المثال الأول بالمستوقد نارًا، هي ضياء الإيمان الذي يظهره علانية ومراءاة، فإذا انقطع إظهاره انطفأ وذهب عنه إيمانه الظاهري، فشُبهت حيرتهم وشدّة الأمر عليهم بمن يكابد من انطفأت ناره عليه بعد إيقادها في ظلمة الليل.

وفي المثال الثاني شُبه دين الإسلام بالصيب الماطر؛ لأنّ الإسلام حياة للقلوب كحياة الأرض بالأمطار، أما المنافق فهو كمن نزلت عليه الأمطار في ليلة مظلمة، مع وجود رعد وبرق، وخوف من الصواعق، و(**كلما**) صادفوا من البرق خفقة ونورًا، مع خوف بالغ منهم أن يخطف أبصارهم، انتهزوا ذلك السكون فخطوا خطوات يسيرة، فإذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٢٢٣/١).

والمطر وإن كان نافعًا إلا أنه لما ظهر في هذه الصورة المجللة المخوفة بالظلمات والرعد والبرق صار النفع به زائلًا، كذلك إظهار الإيمان نافع للمنافق لو وافق الباطن الظاهر.

والمراد أن أهل النفاق كلما سمعوا القرآن واستبانت لهم حججه وبيناته أنسوا به ومشوا معه، فإذا نزل من القرآن ما هو شديد شاق عليهم ثبتوا على نفاقهم.

وهنا يرى المتأمل التعبير القرآني في استخدام (**كلما**) في الإنارة، و(**إذا**) في الإظلام، فقال تعالى:﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾، فكلمة (**كلما**) تبين مدى حرصهم على المشي حال الإضاءة، فكلما صادفوا فرصة انتهزوها، وليس كذلك في حال التوقف والاحتباس[1].

٢-**قال تعالى:**﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾(**سورة البقرة-آية:٢٥**).

جاءت هذه الآية بعد الترهيب بذكر النار، ترغيبًا من الشارع على همة الطاعة، فذكر ما للطائعين من النعيم، على طريقة التبشير، فقال مستأنفًا مبينًا حالهم في النعيم وواصفًا لهذا النعيم: كلما رزقوا من الجنات من أي ثمرة كانت من تفاحها أو رمّانها أو عنبها أو غير ذلك رزقًا قالوا ذلك.

والعامل في (**كلما**):﴿قَالُواْ﴾ودلالة (**كلما**) على تكرير نعيمهم

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود الزمخشري (٨٦/١)، والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٢٢٣/١)، والبحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (١٤٣/١).

ظاهــرة، فرزقهــم دائمٌ في كل حين ووقت، فإذا أتــوا بطعام وثمار في أول النهــار فأكلــوا منها، ثم أتــوا منها في آخر النهار قالــوا: هذا الذي رزقنا من قبل، يعني أُطْعِمْنا في أول النهار، لأن لونه يشبه ذلك، فإذا أكلوا منها وجدوا لها طعما غير طعم الأول[1].

٣-**وقــال تعالــى:** ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (سورة البقرة-آية:٨٧).

ذكر الله تتابع رســله على بني إســرائيل من بعد موسى، مع ما معهم مــن المعجزات الواضحات، والدلائل البينات، أَفَكُلَّما جاءهم رســول منهم بالحــق اســتكبروا عن الإيمان به، فالعامــل في (**كلما**): ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ وهنا قال (**أَفَكُلَّما**)، وفيه نهاية الذم لهم في فعلهم، ووسّط بين الفاء وما تعلقت به همزةَ التوبيخ والتعجيب من شأنهم مع أنبياء الله، من الاستكبار عليهم وتكذيبهم واســتمرارية قتلهم إلى وقــت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما حاولوا قتله فعصمه الله منهم، وهذا من أسرار التعبير بالفعل المضارع في القتل دون ما قبله[2]، والتعبير بـ (**كلما**) في هذا السياق يدل على كثرة تكرار الرسل عليهم، وكثرة ما يصدر من اليهود من التكذيب والصد والقتل.

(١) انظر: الكشــاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاســم محمود الزمخشــري (١٠٧/١)، والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٢٤٠/١).

(٢) انظر: الكشــاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاســم محمود الزمخشــري (١٦٢/١)، ومفاتيــح الغيــب، لأبي عبد الله محمــد بن عمر الــرازي (٥٩٧/٣)، والجامع لأحكام القرآن، لأبــي عبــد الله محمد بن أحمــد القرطبي (٢٢٣/١)، والبحر المحيط، لأبي حيان الأندلســي (١٤٣/١).

٤-**وقال تعالى:**﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُم﴾(سورة البقرة-آية:١٠٠).

هذه الآية تدل على صفة من صفات اليهود اللازمة لهم، وقوله: ﴿أَوَكُلَّمَا﴾، الواو للعطف، دخلت عليه همزة الاستفهام، وهو على محذوف تقديره: أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا. فهذه دلالة على نقضهم عهد اللَّه مرارًا كثيرة[١]، والعامل في (**كلما**):﴿نَّبَذَهُۥ﴾.

قال الرازي في بيان فائدة الاستفهام مع أسلوب التكرار: «المقصود من هذا الاستفهام، الإنكار وإعظام ما يقدمون عليه؛ لأن مثل ذلك إذا قيل بهذا اللفظ كان أبلغ في التنكير والتبكيت، ودل بقول: أوكلما عاهدوا على عهد بعد عهد نقضوه ونبذوه، بل يدل على أن ذلك كالعادة فيهم»[٢].

٥-**وقال الله تعالى:**﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗا﴾(سورة آل عمران-آية:٣٧).

ظرف (**كلما**): ﴿وَجَدَ﴾ فهي سبب نصبها كما تقرر ذلك، فزكريا كلما دخل على مريم وجد عندها طعامًا تتغذى به ما لم يعهده عندها، ولا عرف كيف جُلِب إليها، وكان في كل دخلة يرى عندها هذا الرزق وهذا من

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود الزمخشري (١/١٧١)، ومفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (٣/٥٩٧)، والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (١/٢٢٣)، والبحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (١/١٤٣).

(٢) مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (٣/٦١٥).

كرامة الله لأوليائه وأصفيائه[1]، قال أبو السعود:» وكلمة (**كلما**) ظرف، عَلى أنَّ (مَا) مصدريةٌ، والزمان محذوف، أو نكرةٌ موصوفة، معناها الوقتُ، والعائد محذوفٌ، والعامل فيها جوابُها ،أي:كلَّ زمانِ دخولِه عليها أو كلَّ وقتٍ دخل عليها فيه»[2].

٦-**وقال تعالى:**﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ (سورة النساء-آية:٥٦).

وهذه الآية فيها بيان لون من ألوان عذاب الكفار، و﴿نَضِجَتْ ﴾: احترقت، (**وكلما**) ظرفُ زمانٍ كما مرّ، والعامل فيه: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾[3]، قال السعدي في مناسبة لون هذا العذاب، ومدى انسجامه مع التكرار:» ليَبْلُغ العذاب منهم كل مبلغ، وكما تكرر منهم الكفر والعناد وصار وصفًا لهم وسجية؛ كرر عليهم العذاب جزاءً وِفاقًا"[4].

٧-**وقال تعالى:**﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ﴾(سورة النساء-آية:٩١).

هؤلاء قوم ممن أرادوا التلون فعاقبهم الله بالخوف، فهم يظهرون للمؤمنين الصلح ليأمنوهم، وإذا سنحت لهم فتنة كانوا مع أهلها على المؤمنين، وهذا حض على هؤلاء المخادعين إذا لم يرجعوا عن حالهم إلى

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (٤٢٦/١)، والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٧٣/٤).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن مصطفى (٣٠/٢).

(٣) المرجع السابق (١٩١/٢).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص:١٨٣).

حال الآخرين المعتزلين الملقين للسلم التي ذكرتهم الآيات قبلُ، فخداعهم أقبح خداع وأشنَعه وكانوا فيه شرًا من كل عدو شرير، لأنهم قد استأصل فيهم المكر، وثبتت فيهم العداوة كلما رأوا الفتنة عليهم، والعامل فيها: ﴿أُرْكِسُوا۟ فِيهَا﴾[٥].

٨-**وقال تعالى:** ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾(سورة المائدة-آية:٦٤).

هذه الآية فيها تبشير للرسول ﷺ بأنه كلما حورب نصره الله، وفيها شرح من أنواع المحن على اليهود، وأنهم كلما أجمعوا أمرهم ليفسدوا أمر محمد ﷺ وأوقدوا نار المحاربة أطفأها الله، فردهم وقهرهم ونصر نبيه ودينه[٦]، وظرف (**كلما**) ﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾وفيها أن اليهود لا يَغْلِبون قال الزمخشري:" كلما أرادوا محاربة أحد غُلِبوا وقُهِروا ولم يقم لهم نصر من اللَّه على أحد قط"[٧].

٩-**وقال الله تعالى:**﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (سورة المائدة-آية:٧٠) .

وهذه الآية فيها الإخبار على ما عليه اليهود من نقض العهود، وعدم الوفاء بالمواثيق، وكلما جاءتهم الرسل بالوحي، والرجوع إلى دين الله قابلوا ذلك بالتكذيب والقتل. وقوله ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ جواب

(٥) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (٩١/٢)، والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٣١١/٥)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن مصطفى (٢١٤/٢).

(٦) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٧٧/٣).

(٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود الزمخشري (٦٥٧/١).

الشرط.

وجيء بـ ﴿يَقْتُلُونَ﴾، وهنا موضوع سؤال مشهور: ما الحكمة في مجيء الفعل ماضيًا في التكذيب، ومضارعًا في القتل؟

الجواب: لما فيه من استحضار المخاطب لها، واستفظاعًا للقتل، وتنبيهًا على أن ذلك من ديدنهم ماضيًا ومستقبلاً، وكذلك المحافظة على رؤوس الآي[1].

١٠-**وقال تعالى:** ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾(سورة الأعراف-آية:٣٨).

يخبر تعالى عن أهل النار، أنهم يدخلون النار في جملة المكذبين من قبلهم، من الجن والإنس، وأنهم يقادون إلى النار أفواجًا تلو الأفواج: الرؤساء والمرؤوسين، والمتبوعين والأتباع، القادة والمقودين، كما هو ظاهر دلالة (**كلما**)، وجوابها ﴿لَّعَنَتْ﴾وأنهم يتلاعنون فيما بينهم، كما قال الله تعالى في غير هذه السورة:﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ (سورة العنكبوت-آية:٢٥)

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ يريد أختها في الدين والملة، لا في النسب، فتلعن اليهود اليهود، والنصارى النصارى، والمجوس المجوس، وكل فرقة تلعن أختها ويلعن الأتباع القادة.

ولم يقل: لعنت أخاها؛ لأن المقصود الأمة والجماعة[2].

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود الزمخشري (٦٦٣/١)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، لأبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (١٣٧/٢).

(٢) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٢٢٨/٣)، وتفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٤١٠/٣).

١١-قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ (سورة هود-آية:٣٨)

وهذه الآية فيها عزاء لمن سلك طريق الأنبياء، أن يصبر كما صبروا، فإن النصر مع الصبر، قال البقاعي: "﴿وَكُلَّمَا﴾أي: والحال أنه كلما ﴿مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾أي أشراف ﴿مِّن قَوْمِهِۦ﴾وأجاب (كلما) بقوله: ﴿سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾"[١].

ولـ (كلما)، اتصال بما بعدها، إذْ قال لهم نبيهم:﴿إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾، فكلما سخروا منه، سخر منهم، هذا إن قيل بظاهر الآية، فإن السخرية جائزة في حال المقابلة، والعفو والصبر أولى، كما قال تعالى﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ (سورة النحل-آية:١٢٦).

وإن قيل: إن معنى السخرية: الاستجهال، يعني إن تستجهلوني فإني أستجهلكم إذا نزل العذاب بكم. أو قيل: معناه إن تسخروا منا فسترون عاقبة سخريتكم[٢]، فلا تكرار هنا لرد السخرية-والعلم عند الله-.

١٢-وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ (سورة الإسراء-آية:٩٧).

هذه الآية من أعظم الوعيد، وأشد التهديد، وفيها أن الجزاء من جنس العمل «فكلما أُكلت جلودُهم ولحومهم وأفنتها النار فسكن

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي(٢٨٤/٩).

(٢) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (١٧٥/٤)، والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٣٣/٩)

لهبها، كان جواب (**كلما**) أن يزاد سعيرهم، وبُدِّلوا غير جلودهم، فرجعت ملهبة مستعرة، كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها، لا يزالون على الإفناء والإعادة»[1]، وليس معنى إخبات النار أن العذاب يُخفف عنهم فإن الله قال:﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾(سورة فاطر-آية: ٣٦)، وإنما المراد أن لهيب النار كلما سكن. أما شدة حرارة الجمر فهي على حالها[2]، قال القرطبي: «وسكون التهابها من غير نقصان في آلامهم ولا تخفيف عنهم من عذابهم، وقيل: إذا أرادت أن تخبو»[3].

١٣-وقال تعالى:﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ (سورة الحج-آية:٢٢)

وهذا لون آخر من ألوان الوعيد، وصورة مروعة من صور أهوال النار، تبين حال تكردسهم فيها، قال الحلبي: «كلَّ: نصبٌ على الظرفِ، والعاملُ فيها هنا قوله: ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾»[4]. فكلما استشرفوا عاليها ليخرجوا منها تكردسوا إلى سافلها، و(مِنْ) الأولى لابتداء الغاية، والثانية بمعنى التعليل، وهم لم يطمعوا في الخروج، كيف وقد قيدت أرجلهم وأيديهم؟!، ولكن

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود الزمخشري بتصرف يسير (٦٩٥/٢)،

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (٤٨٧/٣)، ومفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (٤١٢/٢١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٣٣٤/١٠)،

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس أحمد بن يوسف الحلبي (٢٥٠/٨).

يرفعهم لهبها، فيحصل لهم ذلك الاستشراف[1].

١٤-وقال تعالى:﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾(سورة المؤمنون-آية:٤٤)

وهذا لون آخر من ألوان غربة الدين، وصنوف كثرة المكذبين، كما قال الله تعالى:﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة الشعراء-آية:٨)، قال ابن كثير في قوله تعالى﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾: "جمهورهم وأكثرهم"[2]، وإنما أسند الفعل إلى الكل لمّا كان التكذيب بينهم منتشرًا شائعًا[3]، وإضافة الرسول إلى الأمة لتحقيق أن كل رسول جاء أمته الخاصة به، والإشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم رسولها المعين لها[4]، والعامل في (كلما) كما هو بين قوله:﴿كَذَّبُوهُ﴾

١٥-وقال تعالى:﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ (سورة السجدة-آية:٢٠)

وقد تقدم الحديث عن شبيه هذه الآية في الموضع الثالث عشر من سورة الحج من قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ (سورة الحج-آية:٢٢) بما يغني عن الإعادة، وزيد في موضع الحج قوله:﴿مِنْ غَمٍّ﴾ (سورة الحج-آية:٢٢)، مراعاة للسياق حيث اشتمل على

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي (٤٣٤/٢)، وتفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٤٠٧/٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٤٧٥/٥).

(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي(١٤٣/١٣).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن مصطفى (١٣٥/٦) بتصرف يسير.

وصف ناسب ذكر الغم بعده، فقال الله تعالى﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ﴾ (سورة الحج-آية:١٩-٢١) "فمن كان في ثياب من نار وفوق رأسه حميم يذوب من حره أحشاء بطنه حتى يذوب ظاهر جلده وعليه موكلون يضربونه بمقامع من حديد كيف يجد سرورًا أو يجد متنفسًا"[1].

١٦-**وقال تعالى:**﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ (سورة الملك-آية:٨).

وهذه صورة من صور قوارع أهل النار، وبيان ما هم فيه من التوبيخ والحسرة، فإن جهنم لا يزال يبقى فيها الأمم تترى، فكلما ألقي فيها جماعة، كان العامل قول الله تعالى: ﴿سَأَلَهُمۡ﴾ خزّان النار سؤال تقريع وتوبيخ: ألم يأتكم نذير؟ فما كان جوابهم إلا الاعتراف والندم[2]﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾، وهذا التكرار لحال أهل النار بينته السنة، فعن أنس -رضي الله عنه-، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يلقى في النار وتقول: هل من مزيد، حتى يضع

(١) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، لمحمود بن حمزة الكرماني (ص:١٨١)

(٢) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (١٧٧/٨)، والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٢١٢/١٨)

قدمه، فتقول قط قط» [1]، وفي رواية: «لا تزال جهنم تقول»[2].

١٧-**وقال تعالى:**﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ (سورة نوح-آية:٧).

وفي هذه الآية بيان صبر الأنبياء على الدعوة، وقوة يقينهم بالله، وما لاقوه من أقوامهم، فهم ومع تكرار الدعوة عليهم بما فيها من الحجج والبراهين والمعجزات إلا أنهم لا ينفعهم ذلك، فكان العامل لـ(**كلما**) ﴿جَعَلُوٓاْ﴾ ومعطوفاتها مبين لحالهم، بل كما قال الله:﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ (سورة التوبة-آية:١٢٥) فقابلوا ذلك بأمور:

أولها: أنهم بلغوا من شدة التقليد إلى حيث جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا الحجة والبينة.

وثانيها: يغطون رؤوسهم بثيابهم لأجل ألا يبصروا وجهه ولا يسمعوا قوله، ليكون المانع من السماع أقوى.

وثالثها: أنهم أصروا على باطلهم.

ورابعها: أنهم استكبروا استكبارًا عظيما بالغًا إلى النهاية القصوى[3].

(١) رواه البخاري، في كتاب: التفسير، وباب: قوله: (هل من مزيد)، ورقم (٤٨٤٨).

(٢) رواها البخاري، في كتاب: الأيمان والنذور، وباب: الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته، ورقم (٦٦٦١).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (٦٥١/٣٠).

المطلب الثالث

أنواع الرسم القرآني لـ(كلما) في القرآن ودلالاته.

في كل المواضع السبعة عشر كتبت (**كلما**) موصولة في مصحف المدينة النبوية، إلا في موضعين: من سورة النساء: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَا﴾(سورة النساء-آية:٩١). ومن سورة المؤمنون: ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾(سورة المؤمنون-آية:٤٤)[١].

وقد ذكر الداني الخلاف في موضعين آخرين:

فكتبت بعض مصاحف الأمصار (**كلما**) مفصولة في سورة الأعراف من قوله تعالى:﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا﴾ (سورة الأعراف-آية:٣٨)[٢].

وكذلك في سورة الملك من قوله تعالى﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ (سورة الملك-آية:٨)[٣].

والمشهور الفصل والقطع في موضع النساء والمؤمنون، والوصل في موضع الأعراف والملك، واختار أبوداود القطع في حرفي النساء والمؤمنون، وعليه العمل في مصحف المدينة النبوية [٤].

وقد تلمس بعضهم دلالة رسم (**كلما**) مفصولة مقطوعة من سورتي النساء والمؤمنون وأن العلة في ذلك اختلاف الوجود أو الصفة.

(١) انظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ص:٧٩).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص:٩٧).

(٣) انظر: المرجع السابق (ص:١٠٢).

(٤) انظر: دليل الحيران على مورد الظمآن، لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد المارغني (ص:٣٢٢).

أما في سورة النساء﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَا﴾فلاختلاف الفتن وتنوعها، كما أن صفة ردهم ليست واحدة.

أما سورة المؤمنون﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ فلأن الأمم مختلفة في أحوالها ووجودها.

ولذلك لم تُقطع (**كلما**) لما كانت الأمة واحدة، وهي أمة بني إسرائيل كما في قوله تعالى:﴿كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ﴾ (سورة المائدة- :آية٧٠)[1].

ورأي الباحث في ذلك:

أن إيجاد قاعدة لضبط سبب القطع من الوصل قد يكون من الصعب الجزم به، لوجود الخلاف في كتابة (**كلما**) في بعض مصاحف الأمصار، وأحيانًا يتعذر انضباط ما ذُكر من العلة في مثل قوله تعالى:﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا﴾ (سورة الأعراف-آية:٣٨)، فالأمم مختلفة ومع ذلك كتبت (**كلما**) موصولة.

وأقرب ما يكون من التعليل في سبب اختلاف الكتابة أن يقال-والعلم عند الله-: إنها كتبت على سبيل التنوع، أو أن عادة الكتّاب في الوقت الذي كُتب فيه خط المصحف يُجوّز كتابتها على الوجهين، والأشهر كتابتها موصولة، فظواهر الرسم ترجع إلى علل لغوية تتعلق بطريقة الكتابة أو طريقة الأداء، وهذا لا يمكن معرفته إلا بمعرفة واستقراء تاريخ طرق الكتابة في ذلك الوقت[2].

(١) انظر: عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، لأحمد بن محمد المعروف بابن البناء المراكشي(ص:١٢٠-١٢١)

(٢) انظر لمعرفة الخلاف في علل توجيه ظواهر الرسم: الميسر في علم رسم المصحف وضبطه للدكتور غانم قدوري الحمد (ص: ١٨٥).

خاتمة وأهم النتائج والتوصيات

وبعد دوران البحث حول معاني كلمة من كلمات الذكر الحكيم: جمعًا، ودراسة، وعرضا ومناقشة، يحسن الحال بختم البحث بما يذكر بأبرز عصارته، وما طوى من مسائله الواضحة، فيقال:

أهم النتائج:

١-تتكون (**كلما**) من حرفين: (**كل**) و (**ما**)، أما (**كل**) فهي مصدرية، منصوبة على الظرفية، و(**ما**) مصدرية ظرفية أيضًا، وهي المسببة لظرفية (**كل**).

٢-لا تدخل (**كلما**) إلا على الجمل الفعلية، وأكثر ما يكون على الفعل الماضي

وناصب (**كلما**) الفعل الذي هو جوابها في المعنى .

٣-وردت (**كلما**) في القرآن سبع عشرة مرة.

٤-في كل المواضع السبعة عشر كتبت (**كلما**) موصولة في مصحف المدينة النبوية، إلا في موضعين: من سورة النساء: (آية:٩١). وسورة المؤمنون(آية:٤٤)، وقد ذكر الخلاف في موضعين آخرين.

٥-إيجاد قاعدة لضبط سبب القطع من الوصل قد يكون من الصعب الجزم به، لوجود الخلاف في كتابة (كلما) في بعض مصاحف الأمصار، وأحيانًا يتعذر انضباط ما ذُكر من العلة.

٦- وأقرب ما يكون من التعليل في سبب اختلاف الكتابة أن يقال-

والعلم عند الله: إنها كتبت على سبيل التنوع، أو أن عادة الكتاب في الوقت الذي كتب فيه خط المصحف يُجوّز كتابتها على الوجهين .

أهم التوصيات: يوصي البحث الباحثين والمؤسسات التعليمية التخصصية بإجراء دراسات متعمقة في بيان معاني حروف القرآن، ولا يكتفى بمجرد الجمع حتى ينضم إليه التحقيق، المستفيض بالنقد للوصول إلى الغاية من نزول هذا القرآن من العلم، والعمل.

قائمة بأهم المراجع والمصادر

١- **إرشـاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، لأبي السعود العمادي محمد ابن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢- **أمالي ابن الشـجري**، لأبي السـعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشـجري تحقيـق: الدكتور محمود محمد الطناحـي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١ م.

٣- **أنـوار التنزيـل وأسـرار التأويل**، لأبي سـعيد عبـد الله بن عمـر بن محمد الشـيرازي البيضـاوي، تحقيق: محمد عبـد الرحمن المرعشـلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٤- **البحـر المحيط في التفسـير**، لأبـي حيان محمد بن يوسـف بن حيـان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

٥- **البرهان في توجيه متشـابه القـرآن لما فيه من الحجـة والبيان**، لمحمود بن حمـزة بن نصر برهان الدين الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة.

٦- **التحرير والتنوير**، والمسمى: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، للطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر-تونس، ١٩٨٤م.

٧- **تفسـير القرآن العظيـم**، لأبي الفداء إسـماعيل بن عمر بن كثير القرشـي البصري ثم الدمشـقي، تحقيق: سـامي بن محمد سـلامة، دار طيبة للنشر

والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٨- **تفسير عبد الرزاق**، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٩- **تهذيب اللغة**، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

١٠- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

١١- **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٢- **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٣- **الجنى الداني في حروف المعاني**، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي، تحقيق: فخر الدين قباوة - محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م.

١٤- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن

يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

١٥- **الدر المنثور**، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر - بيروت.

١٦- **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، لمحمد عبد الخالق عضيمة، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة.

١٧- **دليل الحيران على مورد الظمآن**، لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني، دار الحديث- القاهرة.

١٨- **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، لأحمد بن عبدالنور المالقي، تحقيق: أحمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٩- **عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل**، لأبي العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البناء المراكشي، تحقيق: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٠ م.

٢٠- **الكتاب**، لعمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٢١- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

٢٢- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة -بيروت.

٢٣- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن

عبد الرحمن بن تمام بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٢٤- **المخصص**، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٥٢- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

٢٦- **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عثمان جمعة ضميرية، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٧- **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، لإبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، دار الدعوة.

٢٨- **معجم مقاييس اللغة**، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٩- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.

٣٠- **مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير**، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٣١- **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٣٢- **الميسر في علم رسم المصحف وضبطه** للدكتور غانم قدوري الحمد، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة الثانية، ١٤٣٧هـ.

٣٣- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٣٤- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة التوفيقية - مصر.